عن المجيء الأول - ميلاد الرب بالجسد

الأب نقولا وهبة*

١. الاستعداد للمجيء الثاني يبدأ من الآن

يتساءل البعض منكم - كما كثيرون غيركم - عن المجيء الثاني، وخاصة في هذه الأيام الصعبة. فهل اقتربت نهاية العالم؟ وهل اللقاح الذي بدأ يتّخذ صفة الإلزامية هو تحضير للتحكم بمصير البشر وإبعادهم عن الحق وبداية حكومة ضد المسيح؟ ومتى يكون المجيء الثاني للمسيح؟ وكيف نستعد له؟

هذه التساؤلات شغلت كثيرين، وخاصةً في فترات الحروب والضيقات والأوبئة التي لم تتوقف منذ فجر البشرية. لا بل أنَّ شِيعاً وفرقاً تدَّعي المسيحية والنبوة حاولت استغلال هذه الحوادث والإدعاء بأنها حلّت ألغاز الأرقام واكتشفت الموعد الدقيق للمجيء الثاني.

والناس بطبعهم يحبون الأشياء المشوِّقة واكتشاف المستور وحلَّ الأحاجي. وعلاوة على ذلك، الناس في أيام الشدة ولحظات الخوف والحيرة يبحثون عن الطمأنينة والسَّكينة، فينعطفون على الغيبيات والنبوءات الكاذبة. فيفقدون فرصة ذهبية كانت ربما تقتادهم إلى التوبة. فالحقيقة وإن كانت غير مشوقة، إلا أنها واضحةٌ صريحة لا لبْس فيها، هي كالشمس بلا ضجة أو صوت أو ألوانٍ مثيرة، ولكنها تحمل النور الذي لا يستطيع أحدٌ أن يخفيه. لذا فإن تعليم الكنيسة أمام التساؤلات السابقة ثابتٌ لا يتغير، ويتلخص في عدة نقاط منها:

- لا أحد يمكنه معرفة موعد المجيء الثاني. **"فَقَالَ لَهُمْ: «لَيْسَ لَكُمْ أَنْ تَعْرِفُوا ٱلْأَزْمِنَةَ وَٱلْأَوْقَاتَ ٱلَّتِي جَعَلَهَا ٱلْآبُ فِي سُلْطَانِهِ"** (أعمال الرسل ١:٨).
- لا يجوز أن نبدد الوقت في حسابات وتوقعات. **"وَلَمَّا سَأَلَهُ ٱلْفَرِّيسِيُّونَ: «مَتَى يَأْتِي مَلَكُوتُ ٱللهِ؟». أَجَابَهُمْ وَقَالَ: «لَا يَأْتِي مَلَكُوتُ ٱللهِ بِمُرَاقَبَةٍ»"** (لوقا ١٧:٢٠).
- نعيش بطمأنينة لأننا نعيش في الرب. **"إِنْ كَانَ ٱللهُ مَعَنَا، فَمَنْ عَلَيْنَا"** (رومية ٨)ـ **" بَلْ شُعُورُ رُؤُوسِكُمْ أَيْضًا جَمِيعُهَا مُحْصَاةٌ. فَلَا تَخَافُوا! أَنْتُمْ أَفْضَلُ مِنْ عَصَافِيرَ كَثِيرَةٍ!"** (لوقا ١٢). **" سَلَامًا أَتْرُكُ لَكُمْ. سَلَامِي أُعْطِيكُمْ. لَيْسَ كَمَا يُعْطِي ٱلْعَالَمُ أُعْطِيكُمْ أَنَا. لَا تَضْطَرِبْ قُلُوبُكُمْ وَلَا تَرْهَبْ"**(يوحنا ١٤).
- إن الحوادث المروّعة هي فرصة ذهبية للتوبة. **" كَلَّا! أَقُولُ لَكُمْ: بَلْ إِنْ لَمْ تَتُوبُوا فَجَمِيعُكُمْ كَذَلِكَ تَهْلِكُونَ"**(لوقا ١٣)ـ **" لَا يَتَبَاطَأُ ٱلرَّبُّ عَنْ وَعْدِهِ كَمَا يَحْسِبُ قَوْمٌ ٱلتَّبَاطُؤَ، لَكِنَّهُ يَتَأَنَّى عَلَيْنَا، وَهُوَ لَا يَشَاءُ أَنْ يَهْلِكَ أُنَاسٌ، بَلْ أَنْ يُقْبِلَ ٱلْجَمِيعُ إِلَى ٱلتَّوْبَةِ"**(٢بطرس ٣).

- الاستعداد للمجيء الثاني يبدأ بالاستعداد للمجيء الأول. وهذا هو محور حديثنا في ما يلي. حيث سنتحدث عن مجيء الرب وكيف نستعد له، وما هي المحطات المهمة فيه.

٢. الأول والثاني:

تدل لفظة "الثاني"لا على نفسها وحسب، بل على وجود شيء متقدمٍ عليها، سبقها لأنه حصل أولاً. فالثاني هو متمم الأول ومكمله ولاحقه. فالوجه الثاني للقمر يفترض حتماً وجود الوجه الأول ويتممه. وبداية الشوط الثاني في مبارة كرة قدم تعني أن الشوط الأول قد تمّ وأن المباراة تتقدم نحو ختامها. كنسياً، تستعمل عبارة "المجيء الثاني" في كثيرٍ من الأدبيات والنصوص والمقالات اللاهوتية. وبالتأكيد هناك كثيرون قد قرؤوا أو سمعوا عن المجيء الثاني للمسيح وتساءلوا متى يكون. أما عبارة "المجيء الأول" فاستعمالها طفيفٌ نادر. لذلك سنحاول في هذا المقال المختصر أن نوجّه أنظارنا نحو المجيء الأول ونتحدث عن التقاليد المرتبطة به، لأن المجيء الأول هو المؤسس للمجيء الثاني، والاستعداد للأول هو استعدادٌ حقيقيٌ لمقابلة السيد الآتي بمجدٍ في الثاني. عملنا الحقيقي هو الاستعداد للمجيء الأول والعمل بمفعولاته، أما في المجيء الثاني فلا عمل لنا سوى الصمت وطلب رحمة الله.

المجيء الأول للمسيح المخلص حدث بميلاده من أمه الدائمة البتولية العذراء مريم واتخاذه طبيعتنا البشرية بتمامها. هو تحقيق الوعد الإلهي لحواء بأنه من نسلها سيأتي الذي يسحق رأس الحية القديمة (التكوين ٣:١٥). المجيء الأول هو إنجاز سر التدبير الإلهي بظهور الله في الجسد. وهو حدثٌ خلاصي حصل في الزمن والأفضل أن يقال أنه حدث في ملئه: **"وَلَكِنْ لَمَّا حَانَ مِلْءُ ٱلزَّمَانِ، أَرْسَلَ ٱللهُ ٱبْنَهُ مَوْلُودًا مِنِ ٱمْرَأَةٍ"**.(غلاطية ٤:٤).

٣. متى يأتي مُشتهى الأجيال؟ البشرية وانتظار المخلص

ما أتى المجيء الأول فجأة أو دون إعلانٍ مسبق، بل انتظرته الأممٌ والشعوبٌ التي تقبّلت عبر العصور الإعلان الإلهي إما عبر أفواه الأنبياء، أو عبر كلمة الرب المنثورة بين الأمم، والتي أثمرت في القلوب الطيبة شوقاً إلى الكمال وحباً للجمال وبحثاً عن الحقيقة والمثال. وتأكيداً لهذا الانتظار الجماعي من كل الشعوب يستعمل النبي حجي في الإصحاح الثاني من كتابه عبارة تختصر في كلماتها الكثير إذ يقول:**"وَيَأْتِي مُشْتَهَى كُلِّ ٱلْأُمَمِ، فَأَمْلَأُ هَذَا ٱلْبَيْتَ مَجْدًا"**. (حجي ٢:٧).

الإنسان بكليّته لم يستطع نسيان الله أو التغرب عن التفكير به بالرغم من كثافة الجسد وثقل الأهواء. فللذين كانوا تحت الشريعة كشف الله لهم عن نفسه عبر أعماله في تاريخهم وكلماته على ألسنة

أنبياءهم. فالعهد القديم يحتوي على أكثر من ثلاثمئة نبوءة تخبر عن المخلّص، ومنها من يحدد في أي مدينة يولد وفي أي زمن ومن أي سبط [١]. **" وَأَنْتِ يا بَيْتَ لَحْمِ، أَرْضَ يَهُوذَا، لَسْتِ ٱلصُّغْرَى بَيْنَ رُؤَسَاءِ يَهُوذَا، لِأَنْ مِنْكِ يَخْرُجُ مُدَبِّرٌ يَرْعَى شَعْبِي إِسْرَائِيلَ، وَمَخَارِجُهُ مُنْذُ ٱلْقَدِيمِ، مُنْذُ أَيَّامِ ٱلْأَزَلِ"** (ميخا٥:٢).

أمَّا الأمم والشعوب الوثنية فقد حاولت أن تستدل عليه عبر الفلسفة والحكمة والبحث المستمر عن الحق والخير. فعلى أحد جدران معبد دلفي -كما يُروى- وعندما تقترب من المعبد يقول لك الله : اعرف نفسك. وأنت تجيب: أنت، أيها الاله، موجود، وأنت وحدك الموجود. أما الموجودات الأخرى بمن فيها نحن فليس لها وجود حقيقى لأنها ليست ثابتة. هذه الفلسفة تعتبر معرفة الذات منطلقاً للاقتراب من الخالق. سقراط بحث عن الله في الخير واعتقد أن الخير والفضيلة والجمال وكل فضيلة تختبئ في النفس، لذا وجب معرفتها. وربط بين معرفة الخير والعمل به، فكل من يعرف الخير يفعله لا محالة، ولا يتركه إلا جاهل بحقيقته. أفلاطون جاء بفكرة عالم المُثل، واستنتج أن الحق والخير والجمال هم في أعلاه، وأعلاهم جميعاً هو مثال الخير الذي هو مصدر الحياة والنور. ومن ثم فهو الله. وعند أرسطو الله هو المحرك الأول الأزلي الذي لا يتحرك.

البشرية بأنبيائها وفلاسفتها ومؤمنيها انتظرت المسيح. سعت للتعرف عليه، قاربته وقارنته، وانتظرت إعلاناً وانعطافاً من روحه. نجد عند أثينادوروس الفيلسوف في القرن الأوّل قبل الميلاد عبارات سامية جدًا توحي أن الله أشرق في قلبه وأرشده ليعرفه. كما في قوله: "إن روحًا قدّوسًا يقوم في أعماقنا. هو مراقب وحارس لأفكارنا الصالحة والشريرة". وبعض الشعراء ما قبل المسيح اعتقدوا أن البشر هم أولاد الله كما جاء في حديث الرسول بولس في أريوس باغوس عندما خاطب الوثنيين قائلاً: **" لِكَيْ يَطْلُبُوا ٱللهَ لَعَلَّهُمْ يَتَلَمَّسُونَهُ فَيَجِدُوهُ، مَعَ أَنَّهُ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا لَيْسَ بَعِيدًا. لِأَنَّنَا بِهِ نَحْيَا وَنَتَحَرَّكُ وَنُوجَدُ، كَمَا قَالَ بَعْضُ شُعَرَائِكُمْ أَيْضًا: لِأَنَّنَا أَيْضًا ذُرِّيَّتُهُ"**. (أعمال الرسل ١٧:٢٧-٢٨).

إنّ انتظار هذا المجيء دام قروناً، وأبرارٌ وفلاسفةٌ وأناسٌ بقلوبٍ دافئةٍ اشتهوا أن ينظروه ورقدوا على هذا الرجاء. وأمام هذا النداء البشري المستمر، كان لا بد لله أن يكشف عن نفسه ويُكلمنا في الأيام الأخيرة في ابنه، الذي جعله وارثاً لكل شيء. الذي هو بهاء مجده ورسم جوهره وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته. فجاء الابن المتجسد لا لشعبٍ معين أو فئةٍ محددة أو إنسانٍ دون سواه. بل جاء من أجل أن يتمم سعي من أرادوا معرفته والعيش في مناجاته. جاء ليكمل فكر أرسطو بأنه وإن كان علة كل

شيء، إلا أنه ليس ببعيد عن عالمه أو منشغلٌ عنهم بذاته. وجاء ليحقق رجاء الأبرار والصديقين ويكمّلهم وينقل الشريعة من الحرف إلى الروح ويُكمّلها بالمحبة التي هي كمال الناموس. جاء لينشر نوره بالتساوي على اليهودي واليوناني، وعلى العبد والحر، وعلى الرجل والمرأة. جاء ليشفي المنكسري القلوب وينادي للمأسورين بالإطلاق وللعمي بالبصر وليجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد. جاء إليك فتقدَّم نحوه.

٤. الحدث الخلاصي والزمن

الأحداث الخلاصية هي أعمال إلهية حدثت في الزمن البشري في وقتٍ محدد، ولكنها تتعالى على زمننا بمحدوديته وسيلانه باتجاه واحد، لتغمر المستقبل والماضي. ولفهم هذا رياضياً، نحتاج أن نتخيل هرماً مقلوباً يلامس برأسه الأرض في نقطة محددة، إلى أن قاعدته تتسع في الفضاء كل ما ارتفعنا، فيغطي ظله وجه الأرض بكل اتجاهاتها مع أنه يلامسها في نقطة استنادٍ واحدة. وعلى هذا المنوال فإن حدثاً كالميلاد (أو الصلب أو القيامة...) حصل في زمان عالمنا في يومٍ وساعةٍ محددين، إلا أن تأثيره يمتد ليغطي وجه الأرض، ويتجاوز بسبب من الفعل الإلهي غير المحدود محدودية الزمن ليشمل الماضي والمستقبل. لذلك تستعمل الكنيسة للإشارة لهذا الزمن تعبير "الوقت" والذي تميزه عن تعبير "الزمن" المحدود ببشريتنا فتقول: "هذا وقتٌ يعمل فيه للرب". وتنشد في صلواتها عبارة "اليوم" كثيراً، (اليوم يولد من البتول... اليوم علّق على خشبة... اليوم العذراء تأتي إلى المغارة...). لتقول أن الحدث خلاصي يمتد إلينا ويصير لنا بكليته كما صار للذين سبقونا.

لذا فأبعادنا المكانية والزمنية محدودة بواقعنا الأرضي، ولكنها تتغير وتتبدل عندما يلامس غير المحدود محدوديتنا. فيصبح الماضي حاضراً لنا وحاضراً أيضاً بكليته لمن سيأتي في المستقبل. هذا يذكرنا بقول النبي يوحنا المعمدان: **"هَذَا هُوَ ٱلَّذِي قُلْتُ عَنْهُ: إِنَّ ٱلَّذِي يَأْتِي بَعْدِي صَارَ قُدَّامِي، لِأَنَّهُ كَانَ قَبْلِي"** (يوحنا ١)ـ هذا نفهمه إيمانيّاً بقلوبنا لأنّ الرب أزليّ وموجودٌ قبل كل شيء، وهو بنفسه حاضرٌ أمام يوحنا المعمدان. ولكن لمَن يعتمد منكم كثيراً على العقل أقول: إننا نستطيع أن نفهم أيضاً بعض العقائد اللاهوتية بشكل عقلي مجرد باستعارة تعبيرٍ آخر من عالم الفيزياء الفلكية بمثابة مثال. فكما أوضح كثيرٌ من العلماء، أن الأجسام بكتلتها تحني نسيج المكان والزمان. وكلما تعاظمت الكتلة وتجمّعت في حيّزٍ أصغر كلما انحنت محاور الزمان والمكان. ويظهر هذا التشوه في الأبعاد في صورة أوضح في الثقوب السوداء التي تبتلع الضوء وتحني الأبعاد وتقلبها، فيتباطئ الزمن أو بالأحرى يتمدد، وتتغير أبعاد المكان وتنحني، بحيث يصير ما هو أمام في الخلف، وما حدث في الماضي قد صار اليوم.

٥. صوم الميلاد وبعض معانيه

تستعدّ الكنيسة لاستقبال ميلاد الرّب يسوع المسيح بالجسد "مشتهى كل الأجيال" بصومٍ يدوم أربعين يوماً. يبتدئ هذا الصوم في ١٥ تشرين الثاني ويمتد حتى ٢٥ كانون الأوّل.

في الكتاب المقدس يشير الرقم أربعون إلى الاكتمال وتمام الشيء. فكما انتظرت الخليقة كلها مجيء المخلص إلى أن تمّ كمال الزمان، يأتي ميلاد المخلص بعد اكتمال أيام الاستعداد، أي انقضاء الأربعين يوماً.

وكما أن موسى صام أربعين يوماً حتى تلقّى وصايا الله العشر مكتوبة بأصبع الله على لوحي حجر، كذلك نصوم أربعين يوماً لنتلقى الرب يسوع مكتوباً بنعمة الروح على ألواح قلوبنا.

وفي رحلة الأربعين يوماً هذه، والتي تشبه رحلة الأربعين سنة للشعب العبراني في صحراء سيناء، يترك المسافر كثيراً من الأشياء خلفه ويحزم المناسب والضروري فقط لرحلته. فالصوم رحلة نموٍ وتجديد، تخلٍّ عن العتيق واكتساب للجديد.

رأت الكنيسة أن يكون هذا الصوم دون فترة انقطاعية، كما ويسمح فيه بأكل السمك ما عدا أيام الأربعاء والجمعة حتى عيد القديس اسبيريدون في ١٢ كانون الأول. هذا الطابع النسكي المخفف في الرعايا جاء ربما بسبب حلول هذا الصوم في فترة تقل فيها الخضراوات والفواكه أو بسبب تأخر إقرار الفترة التحضيرية قبل الميلاد إلى القرن السادس وتثبيتها بشكل نهائي في القرن الثاني عشر (١١٦٦م).

يبقى الصوم فترة تحضيرية مهمة ووسيلة لترويض النفس وتوجيهها باتجاه المغارة. إنه يشبه رحلة المجوس بحثاً عن ملك الملوك. رحلة جماعية، قوتها في تعاضد المسافرين فيما بينهم ودعمهم بعضهم بعضاً، وسر نجاحها هو التركيز المستمر على النجم لئلا نضلّ الطريق. لذا نمارس الصوم في الرعية كجسد واحد بصحبة كاهن الرعية. لا نتخلّى عن الصوم لسببٍ شخصي أو قناعاتٍ زائفة أو انتفاخات كبرياء، بل نمسك به ولا نرخيه من أجل أنفسنا ومن أجل الإخوة، ولأن الرب قدّسه. يأكل الإنسان في الرحلة فقط ليتقوى ويتابع المسير. وينتبه أن يبقي من طعامه لأخيه الضعيف أو المريض. فالمحتاج شريكٌ في صومنا.

يصوم المرء ومشتهى قلبه أن يجلس إلى مائدة طفل المغارة، وأن يقدّم تعب الرحلة كمحرقة وأعمال رحمته كهدايا تسر الرب القدوس المولود في بيت لحم. هيرودوس المعطّل سيحاول دائماً إيقاف الرحلة أو تحويل مسارها أو جعلنا نصل إلى المغارة لنقف أمامها فارغين فلا نتخطى عتبتها باتجاه نور المذوَد. لذا فالصوم وقت يقظة وصحو. **"وَمَنْ يُضِلُّ ٱلْمُسْتَقِيمِينَ فِي طَرِيقٍ رَدِيئَةٍ فَفِي حُفْرَتِهِ يَسْقُطُ هُوَ، أَمَّا ٱلْكَامِلُوْنَ فَيَنَالُونَ مِيْرَاثَ الخَيْر"**. (أمثال ١٠:٢٨).

٦. محطات روحية في رحلة صوم الميلاد

تتخلل رحلة الصوم الروحية المباركة عدة محطاتٍ مهمة. نقدر أن نشبهها بواحاتٍ غنَّاءَ في رحلتنا الأربعينية. نذكر بعضها ههنا لنثبتها في الكتابة كما في الممارسة:

١. هدايا المجوس: لقد حمل المجوس هداياهم بفرحٍ ليقدموها للرب المولود من العذراء. ونحن ومن بداية الصوم نشتري حصالة نقود (مطمورة) ونضعها في المنزل في مكان مرئيٍ باستمرار. وتبدأ العائلة بتوفير القليل من المال بشكلٍ يومي وتجميعه ليقدّم في نهاية الصوم كهدايا لإخوة يسوع الفقراء. فكل ما فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الصغار، فبي قد فعلتموه.

٢. إكليل الميلاد: وهو إكليل دائري مصنوع بشكلٍ أساسي من أغصان السرو أوالصنوبر ومزين بأشرطة لامعة، يوضع عليه وفي وسطه سبع شموع بيضاء أو ذهبية ترمز إلى نقاء القلب وحسن الاستعداد لاستقبال الطفل الإلهي. هذه الشموع السبعة تذكر المرء بصورة المنابر الذهبية السبعة التي كان الرب يمشي في وسطها: **"هَذَا يَقُولُهُ ٱلْمُمْسِكُ ٱلسَّبْعَةَ ٱلْكَوَاكِبَ فِي يَمِينِهِ، ٱلْمَاشِي فِي وَسَطِ ٱلسَّبْعِ ٱلْمَنَايِرِ ٱلذَّهَبِيَّةِ"**(رؤيا ١:٢). تشعل أول شمعة من إكليل الميلاد بحضور كل العائلة في ليلة الرابع عشر من تشرين الثاني إيذاناً بابتداء الصوم. وترتل العائلة أو تقرأ أمام الشمعة المشتعلة قنداق تقدمة الميلاد: *"اليوم العذراء تأتي الى المغارة، لتلد الكلمة الذي قبل الدهور، ولادة لا تفسّر ولا ينطق بها، فأفرحي أيتها المسكونة اذا سمعتي، ومجّدي مع الملائكة والرعاة الذي سيظهر بمشيئته طفلاً جديدا وهو الهنا قبل الدهور"*. ومن ثم تشعَل شمعة واحدة صباح كل يوم أحد إلى أن تأتي ليلة الميلاد.

٣. تقويم الميلاد: هذه العادة موجودة في البلدان الأوروبية بشكلٍ خاص. هناك تقويم خاص مرقم من الواحد إلى أربعٍ وعشرين. وهو يشير إلى أيام الانتظار الأربع والعشرين من شهر كانون الأول والتي تسبق ليلة الميلاد. تحت كل رقم هناك مفاجأة صغيرة للأطفال (قطعة شوكولا، لعبة، هدية بسيطة). وفي كل يوم يفتح الأطفال المربع المتوافق مع تاريخ اليوم ويتلقون هديتهم. في الرعايا يُشترى هذا التقويم بدون محتوياته، ومن ثم تهتم لجنة الكنيسة بوضع هدايا مناسبة مصحوبة بآيات وقراءات من روح الميلاد.

٤. دخول السيدة العذراء إلى الهيكل: يقع هذا العيد السيدي يوم الحادي والعشرين من تشرين الثاني. في هذا اليوم نتذكر أن العذراء دخلت إلى الهيكل لتصير هي الهيكل الحقيقي الذي سيحمل كلمة الله. ونحن مدعوون لأن نكون مثلها، ونحمل المسيح فينا ونلده من جديد في العالم ليستعيد سلامه ويجد طريقه. في هذا اليوم تصلي العائلة طروبارية دخول السيدة: *"اليوم العذراء التي هي مقدمة مسرة الله، وابتداء الكرازة بخلاص البشر، قد ظهرت في هيكل*

الله علانية، وسبقت مبشرة الجميع بالمسيح، فلنهتف نحوها بصوت عظيم قائلين: إفرحي يا كمال تدبير الخالق". وابتداءً من هذا اليوم تضيف العائلة إلى صلاتها المسائية الأرمس الأول من كطافاسيات الميلاد: *"المسيح ولد فمجّدوه، المسيح أتى من السماوات فاستقبلوه، المسيح على الأرض فارتفعوا، رتّلي للرب أيتها الأرض كلها، ويا شعوب سبّحوه بابتهاجٍ، لأنه قد تمجّد"*.

٥. شجرة ومغارة الميلاد: تعبّر شجرة الميلاد في مفهومنا المسيحي عن النفس الإنسانية التي تتزين بالفضائل لاستقبال ربها. تنصب هذه الشجرة في البيت ابتداءً من أول شهر كانون الأول (أو في يوم عيد البربارة). وتزين الشجرة ببهاء لأن الشجرة الجيدة تصنع أثماراً جيدة (متى ١٧:٧). وتزين بكثرة لأن المتكلين على الرب يكونون كالأشجار المغروسة على المياه، التي لا تكفُّ عن الإثمار (أرميا ١٧). وتزين بالأنوار لأننا نثمر بالعمل الصالح (كولوسي ١) والعمل الصالح يضيئ نوراً قدام الناس، فيتمجد الآب في السماء (متى٥). وهناك عادة في بعض الجزر اليونانية أن يزينوا سفينة خشبية. والسفينة هي إشارة إلى الكنيسة التي تعبر بحر العالم فتنقذه من طوفان الخطيئة. زينتها هي بشهدائها وأبرارها وأبنائها التائبين المجاهدين الذين هم أنوارٌ للعالم. **"لِكَيْ تَكُونُوا بِلَا لَوْمٍ، وَبُسَطَاءَ، أَوْلَادًا لِلهِ بِلَا عَيْبٍ فِي وَسَطِ جِيلٍ مُعَوَّجٍ وَمُلْتَوٍ، تُضِيئُونَ بَيْنَهُمْ كَأَنْوَارٍ فِي ٱلْعَالَمِ"**. (فيلبي ١٥:٢).

أما المغارة فهي أساس الزينة في البيت. فبدونها تتغرب الزينة عن طابعها الروحي، وتصبح عالمية، تجاريةً باردةً وفاقدةً للمعنى.

تصنع المغارة من الخشب أو من ورق ملون بألوان داكنة إشارة إلى الصخر، جمالها يكون في بساطتها، وقيمتها تنبع من تواضع من أخلى ذاته وحل بيننا. المغارة تذكير لنا بأن لا نكون مثل أولئك الناس في بيت لحم الذين ما عرفوا سيدهم ولا أمه، ولم يتمكنوا من استقبالهم، لأن قلوبهم وبيوتهم كانت قد امتلأت بهموم العالم وغرور الغنى وشهوات سائر الأشياء.

٦. عيد القديسة الشهيدة بربارة: هناك الكثير من التقاليد الجميلة التي ترتبط بهذا العيد والذي يُحتفل به في الرابع من شهر كانون الأول. فالأمهات تصنع نوعاً مميزاً من الحلوى يدعى "قطايف" وهو عبارة عن عجينة تشبه عجينة Crêpe محشية بالجوز أو القشطة. كما وفي هذا اليوم يجهز الأطفال صحوناً أو أوعية صغيرة ويضعون في أسفلها القليل من القطن، ثم يضعون فوقه القليل من القمح أوالعدس ويسقونه بالماء. وبعد أن تنمو الحبوب، توضع بجانب المغارة. الشهداء يشبهون حبة الحنطة، التي إن ماتت أتت بثمرٍ كثير.

٧. عيد القديس نيقولاوس العجائبي: في السادس من كانون الأول تعيد الكنيسة للقديس نيقولاوس الصانع العجائب. لقد ارتبطت حياة هذا القديس بخدمة الفقير ومساعدة المحتاج

وتقديم العطايا لمن يحسن استعمالها. لذا وفي هذا اليوم يكتب الأهل مع أولادهم قائمة بالهدايا التي يرغبون بها، ويضعونها في مغلف موجه للقديس نيقولاوس. ومن ثم يرتلون طروباريته. والقديس نيقولاوس بدوره سيأخذ رسائلنا ويُقيِّمُ سلوكنا ويقدم لنا هدايانا يوم الميلاد.

* الأب نقولا وهبه كاهن أنطاكي تابع لأبرشية أوروبا الغربية. هو وكيل المطران في النمسا، حيث يخدم رعية القديسين بطرس وبولس في فيينا ورعية القديس جاورجيوس في انسبروغ. كما يعمل كأستاذ في مدرسة بفيينا. وكان قد خدم سابقاً في رعية الصليب بدمشق حيث كان مديراً للمدرسة الأهلية، قبل انتقاله إلى النمسا.

[١] انظر على سبيل المثال: (تكوين ٤٩:١٠-١١) ، (أرميا٢٣:٥-٦) ، (العدد ١٧:٢٤) ، (ميخا ٢:١)